نظرية الإقطاع وعلاقة الاستغلال

تعريف نظرية الإقطاع

الإقطاع هو نظام اقتصادي واجتماعي ظهر في أوروبا خلال العصور الوسطى، ويتمحور حول العلاقة بين الإقطاعيين) المالكين للأراضي (والفلاحين الذين يعملون عليها .في هذا النظام، يتبادل الفلاح العمل الزراعي والجزية مقابل الحماية والسكن.

ماركس حلل الإقطاع كأحد أنماط الإنتاج التي تسبق الرأسمالية، حيث يُعتبر الاستغلال أساس العلاقة بين الطبقات في هذا النظام.

تعريف الإقطاع:

اقتصاديًا :توزيع الأراضي على أساس هرمية طبقية؛ حيث يسيطر الإقطاعيون على الأرض ومواردها.

اجتماعيًا :علاقة الاستغلال تقوم بين الإقطاعي والفلاح، حيث يُجبر الأخير على تقديم جزء كبير من إنتاجه مقابل البقاء.

يقول كارل ماركس: في الإقطاع، كان إنتاج الفائض يعتمد على إجبار الفلاحين على تقديم عملهم أو إنتاجهم لصالح المالك، مما يخلق علاقة استغلال مباشرة) ".رأس المال، المجلد الأول، صفحة.(334

2.الأسس النظرية لنظام الإقطاع

يتألف الإقطاع من عدة أسس ترتكز على التحليل الاقتصادي والاجتماعي:

الملكية الإقطاعية للأراضي :الأرض تُعتبر المصدر الرئيسي للثروة، وهي مملوكة للإقطاعيين فقط.

العمل القسري :الفلاحون يُجبرون على العمل في أراضي الإقطاعيين أو دفع الضرائب.

التسلسل الهرمي :العلاقات الاجتماعية تُنظم ضمن بنية هرمية تبدأ من الملك وتنتهي بالفلاحين.

الاعتماد المحلي :الإنتاج موجه أساسًا لاستهلاك المجتمع المحلي وليس للسوق التجاري.

يقول ماركس وإنجلز" :الإقطاع يمثل حقبة يسيطر فيها الاقتصاد الطبيعي، حيث لا تُنتج السلع لتبادلها في السوق، بل للاستهلاك المباشر) ".الأيديولوجيا الألمانية، صفحة.(78

3.الجذور التاريخية لنظام الإقطاع

أوروبا الغربية :ظهر النظام الإقطاعي في أوروبا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، خلال القرنين الخامس والعاشر، نتيجة لعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي.

العالم الإسلامي :كان هناك أنظمة مشابهة للإقطاع، حيث اعتمدت بعض الأنظمة الزراعية على استغلال الفلاحين من قبل النخب السياسية أو الدينية.

في الجزائر:في الجزائر، ظهرت علاقات إقطاعية مختلفة بسبب تأثير الحكم العثماني، حيث اعتمد النظام الزراعي على الإقطاعيات الكبيرة التي كانت تُدار من قبل الأعيان المحليين.

4.تاريخ الإقطاع في الجزائر

قبل الاستعمار الفرنسي:(1830)

الحكم العثماني :خلال الحقبة العثمانية، كان نظام الإقطاع قائمًا في شكل إقطاعيات تمنح للبايات والقادة المحليين. كانت الطبقات الاجتماعية التقليدية تحافظ على علاقة استغلال بين زعماء القبائل والفلاحين.

نظام الخراج :الفلاحون كانوا مطالبين بدفع خراج سنوي كضريبة على استخدام الأراضي.

الملكية الجماعية :ظهرت بعض أشكال الملكية التقليدية للأراضي بين القبائل.

أثناء الاستعمار الفرنسي:

مصادرة الأراضي :استولت فرنسا على أراضي الفلاحين ومنحتها للمستوطنين الأوروبيين، مما أدى إلى تحويل الفلاحين إلى عمال مستأجرين أو معدمين.

ترسيخ الاستغلال :ارتبط الإقطاع في هذه الفترة بتعزيز استغلال الفلاحين الجزائريين لصالح المستوطنين. الهيمنة الفرنسية عززت استغلال الأراضي والفلاحين، مما أدى إلى تدهور الطبقة الريفية التقليدية:

"الفلاحون في الجزائر كانوا ضحايا استغلال مزدوج؛ الأول من زعماء القبائل قبل الاستعمار، والثاني من النظام الكولونيالي الفرنسي "(Pierre Bourdieu, Algeria 1960, صفحة.120

"نظام الإقطاع في الجزائر تعرّض لتحولات كبيرة خلال الاستعمار الفرنسي، حيث أدى التوسع في الزراعة التجارية إلى تدمير الملكية التقليدية للأراضي (Mahfoud Bennoune, The Making of Contemporary Algeria, صفحة.56 ".

5.علاقة الاستغلال في النظام الإقطاعي

في الإقطاع، يُعتبر الاستغلال أساس العلاقات بين الطبقات:

الإقطاعي والفلاح :الفلاح يُجبر على العمل دون تعويض عادل مقابل حقوق العيش والحماية.

فرض الضرائب والجزية :تُفرض على الفلاحين ضرائب مرتفعة تستنزف إنتاجهم.

التبعية الدائمة :النظام يجعل الفلاحين يعتمدون كليًا على الإقطاعي، مما يعزز علاقتهم الاستغلالية.

"إن الاستغلال في النظام الإقطاعي يعتمد على السيطرة المطلقة للإقطاعي على وسائل الإنتاج، مما يجعل الفلاحين أداة لتحقيق فائض القيمة) ".رأس المال، المجلد الأول، صفحة.(336

- نظرية الإقطاع تبرز كأداة تحليلية لفهم العلاقات الطبقية المبنية على الاستغلال في المجتمعات ما قبل الرأسمالية .في الجزائر، شكّل الإقطاع نمطًا اقتصاديًا واجتماعيًا مهيمنًا قبل الاستعمار، وتحول إلى أداة قمع واستغلال أكثر قسوة في ظل الهيمنة الفرنسية.
- "النظام الإقطاعي في الجزائر لم يكن انعكاسًا حرفيًا لما عرفته أوروبا، بل جاء مزيجًا من الخصوصية الثقافية والتأثيرات الاستعمارية ")بشارة،2020 ، ص.(15 .
- الصراعات الاجتماعية لم تكن فقط تعبيرًا عن رفض النظام الإقطاعي، بل كانت أيضًا مواجهة مع قيم الحداثة التي حاولت الهيمنة.
- الإقطاع في الجزائر كان مختلفًا عن النمط الأوروبي، حيث كان يفتقر إلى البنية الإدارية والتنظيمية المتماسكة التي ميزت أوروبا الوسطى" حيث كان نظام الإقطاع في الجزائر مرتبطًا بقيم القبيلة، مما جعل الانتقال إلى الدولة الحديثة أكثر تعقيدًا
- يظهر في االتحليل أن نمط الإنتاج التقليدي والنظام الإقطاعي في الجزائر كانا محوريين لفهم تطور المجتمع الجزائري وتأخر التحديث.
- الربط بين الإقطاع كهيكل اجتماعي ونظرية الإنتاج التقليدي يوضح التأثير الكبير على الحركات السياسية والاجتماعية في الجزائر".

المراجع

1. Karl Marx, Capital: Volume I, Penguin Classics, 1976.

2. Karl Marx & Friedrich Engels, The German Ideology, Progress Publishers, 1970.

3. Mahfoud Bennoune, The Making of Contemporary Algeria, 1830-1987, Cambridge University Press, 1988.

4. Pierre Bourdieu, Algeria 1960: The Disenchantment of the World, Cambridge University Press, 1979.

5. "سؤال الهوية – "شريف يونس(1999)

6. "الحركات الاحتجاجية في المغرب وديناميةالتغيير – "الحبيب استاني زين الدين(2019)

7. "إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية – "نور الدين ثنيو(2015)

8. "الانتقال الديمقراطي وإشكالياته – "عزمي بشارة(2020)

9. "الديموقراطية العصية في الخليج العربي – "باقر سلمان النجار(2017)

10. "سوسيولوجيا الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط المعاصر – "خليل أحمد خليل(2005)

11. "التأريخ العربي وتاريخ العرب – "مجموعة مؤلفين(2017)